تجربتي في تعليم مهارات التفكير للصف السادس الابتدائي

مقدمة

للمعلم دور أساسي في تعليم مهارات التفكير الناقد لطلابه، يتلخص هذا الدور في بناء بيئة صفية متسامحة تشجع الطلبة على الحوار والنقاش ومساعدتهم على توضيح أفكارهم وذلك بأن يعيد المعلم صياغة الأفكار وطرح الأسئلة الموجهة والأسئلة التي تستثير التفكير.

فالمعلم يطرح أسئلة مرتبطة بالمواقف اليومية التي يمر بها الطلبة لإثارة تفكيرهم، كأن يسأل «ما هي أفضل طريقة لجمع الأموال لإصدار نشرة طلابية مدرسية؟» وقد تنبع بعض هذه الأسئلة من المنهاج كتقييم قرار تاريخي مثلا. على المعلم أن يكون مستعدا لتدريب طلبته على تحليل النقاش وتقييم التفسيرات التي يقرأونها ويسمعونها، وأن يدربهم على التفكير بشكل ناقد وتحليلي بما يتعرض له الطلبة من معلومات واستنتاجات في شتى المواضيع الدراسية، وفيما يتعلق بالأمور التي تعنيهم خارج نطاق المدرسة. من واجب المعلم أن يطرح على طلابه أسئلة تحثهم على التفكير وعلى فهم ما تعنيه العبارات والقراءة ما بين السطور، إن المعلم الذي يطرح أسئلة تثير التفكير يعد طلابه لاتخاذ القرارت المستقبلية. ففي المواقف التي يتعرض لها الطلبة في حياتهم هناك دائما خيارات عديدة عليهم التفكير بها مليا، وفحص البدائل واتخاذ القرار بشأنها.

على المعلم أن يكون مستعدا لتدريب طلبته على تحليل النقاش وتقييم التفسيرات التي يقرأونها ويسمعونها، وأن يدربهم على التفكير بشكل ناقد وتحليلي بما يتعرض له الطلبة من معلومات واستنتاجات في شتى المواضيع الدراسية، وفيما يتعلق بالأمور التي تعنيهم خارج نطاق المدرسة

كمعلمة للغة العربية في مدارس الأيمان، للصف السادس الأساسي، ورغم أنني أناقش أسئلة نهاية الدرس، إلا أن اشتراكي في البحث الإجرائي «تنمية مهارات التفكير لدى الصغار» مع مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، ساهم إلى حد كبير في فهم دوري كمرشدة للتعلم، وزاد من فهمي لأهمية طرح الأسئلة في إثارة تفكير الطالبات، مما دفعني إلى صياغة أسئلة جديدة أثناء كل وحدة دراسية، آملة أن تثير هذه الأسئلة النقاش في صفي وتنمي مهارات التّفكير لدى طالباتي.

الدرس الأول، «العلم سبيل الرقي»

وضح الكاتب في هذه الوحدة أهمية العلم في مختلف مناحي الحياة، وبيّن فيها بعض مظاهر اهتمام الإسلام بالعلم دون أن يتجاهل النّظر إلى التقدم العلمي الذي شهده عصرنا الحاضر. وفيما يلي بعض الأسئلة الإثرائية التي طرحتها في هذا الدرس:

«ما هي بعض المشاكل المعاصرة التي يحاول العلم أن يحلها؟» وكنت أهدف من خلال هذا السؤال إلى تشجيع الطالبات على نقل المعرفة من غرفة الصف وتطبيقها في حياتهن اليومية، فالمفكر الناقد هو الذي يبحث عن الترابط بين ما يتعلمه في مادة دراسية وبين بقية المواد المدرسية ومواقف الحياة اليومية. ولقد قدمت الطالبات العديد من الإجابات مثل «مرض السرطان» ومحاولات اكتشاف دواء

يخفف من آلام المرضى ويساعدهم في التغلب على هذا المرض، وغير ذلك من الإجابات التي اعتمدت على المعرفة السابقة للطالبات.

تلى ذلك طرح السؤال التالي «هل يستخدم العلم دائما في سبيل التقدم والرقي، هل هناك حالات يتم فيها استغلال تقدم المعرفة والعلم؟».

إحدى استراتيجيات تعليم التفكير الناقد هي مساعدة الطلبة على تجنب التعميمات وتبسيط الأمور، ومساعدتهم على الفهم أن لكل قضية عدة جوانب. فالكتاب المقرر يقدم جانبا واحدا، وهو أن العلم سبيل التقدم والرقي، وكنت أهدف من سؤالي إلى مساعدة الطالبات على فهم أن التقدم العلمي قد لا يكون دائما في سبيل التقدم والرقي..... وبالفعل تطرقت الطالبات إلى نقاش القنبلة النووية والذرية وقضية الاستنساخ، ومن ثم لخصت الطالبات النقاش بأنه قد يتم استغلال التقدم العلمي من أجل فرض السيطرة بدلا من التطور والازدهار. ولقد ثار نقاش في الصف حيث كنت أحاول تشجيع طالباتي على الإصغاء لبعضهن بعضا، فتفاعل الطالبات معي جعلني أدرك حلاوة التعليم والتدريس بشكل آخر، وزاد من حماستي وحبي للعطاء في غرفة الصف.

الدرس الثاني: «بر الوالدين» ص **19**

في هذا الدرس مقتبسات من حياة الكاتب عبد القادر المازني، الذي فقد والده صغيراً فتحملت أمه مشاق ومتاعب الحياة في سبيل تربيته وأخوته وحرصت على تعليمه رغم حالة العسر الشديد التي كانت تعيشها، مما زاد من حب المازني لأمه، ويذكر المازني أن الأمر الصريح الذي ورد في القرآن الكريم لبني البشر بالحفاظ على رضا الوالدين قد دعم من حبه لوالدته.

وقد ارتأيت أن هذا الدرس مناسب لتعليم الطالبات مهارة هامة من مهارات التفكير الناقد، استراتيجية تفحص العلاقة بين الفكر والمشاعر، والإدراك بأن المشاعر ترتكز على الأفكار وأن الأفكار تبطنها المشاعر.

> يدرك المفكر الناقد بأن مشاعره ستكون مختلفة لو فهم الموقف أو فسره بطريقة مغايرة. وهو يدرك بأن الأفكار والمشاعر ليسا شيئين مختلفين، بل يعتبرهما جانبين لاستجابته لموقف معين. أما المفكر غير الناقد فهو لا يعتبر أن هناك علاقة بين الأفكار والمشاعر

وهذا يعني بأن المفكر الناقد يتساءل «لماذا أشعر على هذا النحو؟» ويدرك المفكر الناقد أن الشعور هو استجابة ولكن ليست الاستجابة الوحيدة لموقف معين. ويدرك المفكر الناقد بأن مشاعره ستكون مختلفة لو فهم الموقف أو فسره بطريقة مغايرة. وهو يدرك بأن الأفكار والمشاعر ليسا شيئين مختلفين، بل يعتبرهما جانبين لاستجابته لموقف معين. أما المفكر غير الناقد فهو لا يعتبر أن هناك علاقة بين الأفكار والمشاعر، وبالتالي لا يتحمل مسؤولية أفكاره ومشاعره وأحيانا تصرفاته. وهو لا يفهم أو يدرك المشاعر التي تستحوذ عليه. عندما نشعر بالحزن أو بالإحباط مثلا، فهذا لأننا نفكر بالموقف الذي نمر به بصورة سلبية ونتجاهل بعض الإيجابيات في هذا الموقف. عندما نفهم مشاعرنا وأسبابها وعلاقتها بأفكارنا فإننا نفهم أنفسنا، وفهم الذات أمر أساسي للتطوير والنجاح*.

لقد طرحت على طالباتي السؤال التالي لمساعدتهن على تفحص العلاقة بين المشاعر والأفكار والسلوك «لماذا كانت أم المازني تجرع من الدواء قبل أن يشربه ابنها؟ بماذا كانت تفكر؟ وكيف كانت تشعر؟» بعد النقاش، أجمعت الطالبات على أن حبّ الأم لولدها دفعها لشرب الدواء الموصوف له قبل أن يتذوقه هو، وذلك للتأكد من نجاعة الدواء ومن أنه لن يؤذي ابنها. وقد دفعني هذا التحليل إلى انتهاز الفرصة لتعليم مهارة تقييم الأفعال والسلوك، وتعني هذه المهارة ببساطة أن المفكرين الناقدين يميلون إلى تقييم السلوك. الطريقة المثلى لتطوير هذه المهارة هي ممارستها من خلال التوصل إلى الحكم والتقييم وشرح هذا التقييم وإعطاء مبررات له. قد يكون المعيار أو المحك واضحا للمفكرين الناقدين عند تقييم سلوك الآخرين وسلوكهم أنفسهم، ويكون هذا المعيار موضعا للنقد وللتقييم أيضا. يتفحص المفكر الناقد النتائج ويولي عناية كبيرة لهذه النتائج المترتبة على سلوك أو تصرف أو سياسة معينة عند التقييم. ويعتمد المفكر الناقد في تقييمه على افتراضاتٍ فكر وآمن بها وهو يستطيع أن يبين هذه الافتراضات التي يعتبرها بمثابة مبادئ يعتنقها ويبررها منطقيا.

* وصف هذه الاستراتيجيات هي من التعريفات التي استخدمت أثناء ورشة العمل المتعلقة بالبحث الإجرائي وهي من أفكار Richard Paul.

لقد طرحت على طالباتي التساؤل التالي «ما رأيك فيما فعلته هذه الأم؟» بسرعة قالت الطالبات أن ما فعلته هو بمثابة التضحية، وأن حبها لولدها هو حب عظيم، وأن خوفها من أن الدواء قد يؤذي ولدها هو الذي جعلها تتصرف بهذه الطريقة. وهذا الجدل دفعني لسؤال طالباتي «هل كان هناك بدائل أخرى لتفحص الدواء؟» سكتت الطالبات ثم تلقيت بعض الإجابات المترددة، «كان من الممكن أن تسأل الطبيب» «كان من الممكن قراءة التعليمات على وصف الدواء» تلى ذلك طرح السؤال التالي «هل يتفاعل الدواء مع جميع الأجسام بطريقة واحدة؟» فأجابت البنات بأن الدواء الذي يصلح لمريض قد لا يصلح لمريض آخر» «وأن الشخص السليم لا يجوز له أن يتعاطى الأدوية»، ثم سألت البنات «ماذا كان سيحصل للابن لو أن الدواء سبب لأمه الأذى أثناء شربه؟» وهنا بدأت البنات بإدراك أن ما فعلته الأم كان تصرفا خاطئا، وقد قالت إحداهن «إن ما فعلته أم المازني ليس لجهل فيها، بل من فرط حنانها وحبها لولدها»، وشعرت أثناء النقاش أنه كان من الصعب على الطالبات الحكم على هذا التصرف بأنه تصرف غير سليم، وأنهن قد أدركن أن ما يبدو للوهلة الأولى «سلوكا عظيما» قد يكون في الحقيقة «سلوكا خاطئا»، لقد حاولت من خلال هذا النقاش أن أساعد طالباتي على إدراك أن العاطفة ترتبط بالتفكير، وعندما فكرت الطالبات بموقف أم المازني تغير شعورهن اتجاه ما فعلته.

الدرس الخامس: «صناعة الحجر» ص **62**

يناقش الدرس صناعة الحجر في فلسطين، ويذكر الكاتب «ويرى الخبراء أن مخزون الحجر في فلسطين يكفي لخمسين عاما في المستقبل إن شاء الله». وهنا طرحت السؤال التالي على طالباتي: «كيف من الممكن مواجهة مشكلة نفاذ المخزون من الحجر؟» وبدأت الطالبات بتقديم الاقتراحات «نستورد الحجر من الخارج» وهنا سألت «ما هي الإيجابيات لهذا الحل؟» فقالت طالبة أخرى «حل مشكلة نفاذ المخزون»، وسألت البنات «وهل هناك صعوبات أو سلبيات؟» وذكرت البنات العديد من المشاكل، مثلا، التكلفة العالية، صعوبة النقل، وهنا سألت «هل هناك بدائل أخرى؟» فقدمت الطالبات اقتراحات أخرى، مثل «الاقتصاد في استخدام الحجر، فنبني بيوتا صغيرة بدلا من (الفلل) البيوت الواسعة المستقلة».

وهنا سألت الطالبات «قارني بين الاقتراح الأول والثاني» فكانت إجاباتهن «كلاهما يساهم في حل مشكلة نقص الحجارة»، «الاقتراح الثاني يقلل من التكلفة ونعتمد فيه على مواردنا المتوفرة دون الاستيراد من الخارج».

إن تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين طريقتين مختلفتين لحل هذه المشكلة ينمي لدى الطالبات القدرة على التحليل، والتحليل هي إحدى مهارات التفكير الناقد الهامة.

وقد طلبت من الطالبات أن يضعن خطا تحت عبارة «أن مخزون الحجر في فلسطين يكفي لخمسين عاما» وسألتهن «ما رأيك بهذه العبارة» كانت هناك إجابات عديدة مثل «لا بد أن الكاتب جيولوجي متخصص في هذا المجال» «قد يكون هذا صحيحا أو خاطئا» إلى أن سمعت الإجابة التي انتظرتها، فقالت إحدى الطالبات «إن هذا الكتاب بدأ يدرس قبل عام تقريبا، أي نقصت المدة فأصبحت تسعة وأربعين فقط.... وبعد ثلاث سنوات مثلا، ستنقص المدة ويبقى النص خمسون عاما» فضحكت الطالبات.....

إن تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين طريقتين مختلفتين لحل هذه المشكلة ينمي لدى الطالبات القدرة على التحليل، والتحليل هي إحدى مهارات التفكير الناقد الهامة

لقد كان الهدف من سؤالي هو حث الطالبات على مساءلة النص الذي يقرأنه وتحديد موقفهن مما يقرأن.

لقد حاولت مما سبق وصف ما قمت به من إعادة صياغة الأسئلة، ولا بد من القول بأن هذه التجربة كانت رائعة بالنسبة لي، فقد أصبحت حصص اللغة العربية منارة للنقاش والتفكير، مما زاد من متعتي ومتعة الطالبات على حد سواء، ووثق العلاقة بيننا أكثر حتى أنني أصبحت أكره قرع الجرس إيذانا بانتهاء الحصة.

وما زال كلي حماس للاستمرار في هذا البحث الإجرائي حول «تعليم مهارات التفكير للصغار» ومتابعة كل ما هو جديد ومفيد لتحقيق التطوير التربوي لأطفالنا.

المعلمة سوزان المريدي

مدرسة الإيمان الأساسية